المحور الرابع

البعث والجزاء

عندما خلق الله أبناء آدم لم يدعْهم يعيشون فى الأرض عدد سنين ثم يفنون، وتبقى لهم ذكرى أو لا تبقى ! كلا، إنه أوجدهم ليخلدوا !

والموت الذى يعترض محياهم على ظهر الأرض هو رقدة مؤقتة أو نقطة فاصلة بين مرحلتين من الوجود، كانت الأولى للغرس والأخرى للحصاد.

وخلال لغوب الأحياء فى ميادين الحياة، وسكون الموتى تحت صفائح القبور، يقع حادث كونىّ واسع المدى، وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ **ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون * قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون * إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون** ﴾(١) .

أما الذين أحسنوا الغراس، واستعدوا للقاء الله فإنهم يقولون : ﴿ **أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين * إن هذا لهو الفوز العظيم** ﴾(٢) .

وأما الذين ظنوا العيش بين المهد واللحد، هو الوجود الأول والأخير، وجحدوا ما بعده، فلهم شأن آخر ﴿ **وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير * إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا وهى تفور * تكاد تميَّز من الغَيظ** ﴾(٣) .

وفى ذلك يقول أبو العلاء المعرى :

---

(١) يس : ٥١ ـ ٥٣ . (٢) الصافات : ٥٨ ـ ٦٠ .
(٣) الملك : ٦ ـ ٨ .